

مفهوم السياق وانواعه في النص القرآني من منظور العلامة السيد الطباطبائي في تفسير الميزان

مروة محمد منيثر

جامعة فردوسي مشهد | كلية الالهيّات والمعارف الاسلاميّة (شهيد مطهري)

أم.د. عباس اسماعيلي زادة

جامعة فردوسي مشهد | كلية الالهيّات والمعارف الاسلاميّة (شهيد مطهري)

أم.د. غلام رضا رئيسيان

جامعة فردوسي مشهد | كلية الالهيّات والمعارف الاسلاميّة (شهيد مطهري)

Marwa30y@gmail.com

07715712164

مديرية تربية ذي قار _ ذي قار

المستخلص:

نتناول في هذا البحث مسألة من مسائل علوم القرآن الكريم وهو انواع السياق في التفسير من خلال تفسير الميزان الذي يهدف الى ابراز اهمية السياق وكذلك الى بيان انواع السياق القرآني وتوضيح آيات القرآن الكريم، الذي يعد ركنا اساسيا في فهم الآيات القرآنية ، لان فهم الآية بمعزل عن سياقها يؤدي الى تفسيرات خاطئة ، يتكون البحث من مبحثين المبحث الاول يتكون من مطلبين المطلب الاول يتضمن مفهوم السياق لغة واصطلاحا اما المطلب الثاني يتناول نبذة مختصرة عن صاحب تفسير الميزان ومنهجه في كتابه ، اما المبحث الثاني يتناول انواع السياق التي اعتمد عليها السيد الطباطبائي في تفسيره ، ويختم البحث بخاتمة واهم النتائج .

الكلمات المفتاحية : السياق ، سياق الآية ، سياق الآيات ، الطباطبائي.

مفهوم السياق وانواعه في النص القرآني من منظور العلامة السيد الطباطبائي في تفسير الميزان

ثانيا : منهجه في تفسيره : تظهر اهمية هذا التفسير من خلال ما قدمتة هذا الكتاب التفسيري الذي يعد دائرة معارف لما يحتوي على الموضوعات المختلفة التي عالج فيه قضايا كثيرة ، يقول الشهيد مطهري بحق الميزان : لم يكتب تفسير الميزان جميعه بوحى الفكر فانا اعتقد ان الكثير من موضوعاته هي الهامات غيبية وقلما تعرض لي مسألة من المسائل الاسلامية والدينية لا اجد مفتاح حلها في الميزان^٥

يذكر صاحب كتاب منهج مأمون الى انه قد يكون سبب تسمية الكتاب بالميزان هو كثرة ما عرض فيه من آراء واقوال للمفسرين وغيرهم ، وتعرضه لها بالمناقشة ، فكان كثيرا ما يوازن ويرجح بين الآراء السابقة عليه في الموضوع الواحد مؤيدا لبعضها ورافضا للبعض الاخر^٦ .

اما المنهج الذي سار عليه^٧ :

١ . توزيع آيات السورة المراد تفسيرها على مقاطع قرآنية اما لانها ذات سياق واحد او لانها تعالج غرضا من اغراض السورة ، وقد يكون ذلك آية واحدة او آيات او مجموعة آيات ، اما السور القصار فتناول اغلبها مرة واحدة.

٢ . في بداية كل سورة يذكر الغرض الاساسي لها ، فهو يرى ان لكل سورة نوعا من وحدة التأليف لا يوجد بين السور ، فالأغراض والمقاصد للسور مختلفة ، وان كل واحدة منها مسوقة لبيان معنى خاص لا تتم السورة الا بتمامه.

٣ . ينبه العلامة الطباطبائي في بداية كل سورة على مكية السورة او مدنيته ويتعرض احيانا لمناقشة ما ورد من اقوال في هذا الشأن ، وفي بعض الاحيان يرد هذه الاقوال لمخالفتها السياق العام للآيات .

٤ . يقوم بشرح في الآية معاني بعض المفردات لغويا معتمدا في ذلك على كتب اللغة والتفسير .

٥ . يقدم من الاعراب القدر الذي يعين على فهم الآية ويزيل غموضها ، ولم يستطرد في استعراض الاقوال واستكثار الوجوه النحوية في الآية ، او يقدم صور بلاغية في الآية لاسهامها في بيان نكتة او فائدة كأسلوب الالتفات والتكثير والحذف وغير ذلك .

٦ . استعان المفسر بآيات الكتاب العزيز في تفسير بعضها للبعض الآخر وهي قاعدته الاساس في هذا التفسير .

٧ . كثيرا ما يذكر العلامة آراء المفسرين فيفيد من بعضها ويتعرض لبعضها الآخر بالمناقشة والتحليل حتى انه يذهب احيانا لمخالفة المفسرين .

٨ . كثيرا ما يعلق المفسر على الروايات التي يذكرها في ابحائه الروائية بعد كلمة اقول فمرة يضعف واخرى يوجه ، ولربما يستعين بقسم منها في بيان المعنى كأسباب النزول وغيرها ، وقد يدفع توها ظاهرا بين الروايات والآيات.

٩ . يهتم في بيان الخلاصة للمعنى الذي قدمتة في بيان الآيات ، واهتم كذلك في بيان فوائد وحكم الآيات .

١٠ . شغل المفسر ما يدور في عصرنا الحاضر من افكار ومفاهيم ، لذلك بسط الكلام في جملة امور استدعتها متطلبات العصر .

اما الجانب الاثري الذي سار عليه الطباطبائي^٨ :

١ . فهو تفسير القرآن بالقرآن وهو يعد المنهج الاساس في تفسير الميزان .

مفهوم السياق وانواعه في النص القرآني من منظور العلامة السيد الطباطبائي في تفسير الميزان

٢. الاعتماد على منهج السياق في التفسير فهو يستعين بالآيات في تفسير بعضها للبعض الآخر باعتبارها قرائن منفصلة في فهم الكلام وان فكرة السياق لازمت العلامة الطباطبائي في تفسير الآيات فكانت واضحة في تفسيره وغالبا ما كان يصرح بها .
٣. التفسير بالسنة : وهو عرض الآيات على المأثور عن المعصوم ، لان حجية قول الرسول (ص) والائمة (عليهم السلام) يجب ان تفهم من القرآن الكريم ، وعليه فالسنة شارحة ومبينة للقرآن الكريم .
٤. موقفه من اقوال الصحابة والتابعين : استعان المفسر باقوال الصحابة والتابعين على بيان الآيات على خلاف ما ادعاه (جولدزيهر) من ان الطريق الوحيد الى الوثوق الشرعي عند الامامية ما ثبت عن ائمتهم^٩ ، ويعني قوله هذا ان الامامية لا يلتفتون الى الروايات الواردة في التفسير عن غير ائمتهم بمن في ذلك الصحابة والتابعون مهما علا مصدر هذه الروايات^{١٠} .
٥. رفضه للاسرائيليات : موقفه موقف الناقد فلا يأخذ بها الا بعد عرضها على القرآن فان وافقته ولم يوجد معارض لها الموافق للقرآن اخذ بها والا ردها .

المطلب الثاني : تعريف السياق لغة واصطلاحا :

اولا : السياق لغة : للوصول الى تعريف دقيق للسياق لابد من مطالعة بعض المعاجم اللغوية ومنها ما قاله الجوهري في صحاحه " ويقال ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحد ، اي بعضهم اثر بعض ليست بينهم جارية .. " ^{١١} .

اما ابن فارس بينه على انه : السين والواو والقاف اصل واحد وهو حدو الشيء ، يقال ساقه يسوقه سوقا ، والسيفة ما استيق من الدواب ، ويقال سقت الي امرأتي صداقها ، واسقته ، والجمع اسواق والساق للانسان وغيره ، والجمع سوق ، انما سميت بذلك لان الماشي ينساق عليها^{١٢} .

اما في لسان العرب قال : السوق معروف ساق الابل وغيرها يسوقها سوقا وسياقا وقد انسقت وتسوقت الابل تساقا اذا تتابعت^{١٣} .

ثانيا : السياق في الاصطلاح : تعددت تعريفات العلماء للسياق وهنا نذكر شيئا من اقوالهم :

يمكن ان يراد بالسياق كما بينه السيد الصدر : " هو كل ما يكشف اللفظ الذي نريد فهمه من دوال اخرى سواء كانت لفظية كالكلمات التي تشكل مع اللفظ الذي نريد فهمه كلاما واحدا مترابطا او حالية كالظروف والملابس التي تحيط بالكلام وتكون ذات دلالة في الموضوع"^{١٤}

قال ابن دقيق العيد: " اما السياق والقرائن فانها دالة على مراد المتكلم من كلامه"^{١٥} .

وفي حاشية العطار على جمع الجوامع : " السياق هو ما يؤخذ من لاحق الكلام الدال على خصوص المقصود او سابقه "^{١٦} .

وفي الاتقان قال : وعليه اي المفسر بمراعاة المعنى الحقيقي والمجازي ومراعاة التأليف ، والغرض الذي سبق له الكلام^{١٧} .

المبحث الثاني : انواع السياق عند العلامة الطباطبائي

مفهوم السياق وأنواعه في النص القرآني من منظور العلامة السيد الطباطبائي في تفسير الميزان

يقول صاحب كتاب دلالة السياق ان السياق قد يضاف الى مجموعة من الآيات التي تدور حول غرض اساسي واحد كما انه يقتصر على اية واحد ويضاف اليها وقد يكون له امتداد في السورة كلها بعد ان يمتد الى ما سبقه ويلحقه وقد يطلق على القرآن بأجمعه ويضاف اليه^{١٨} ، وقد عدد علماءنا الافاضل انواعا متعددة للسياق القرآني من حيث العموم والخصوص ، فسياق السورة يشكل وحدتها العضوية المتكاملة متتامة ، وسياق الآيات يعتبر احد المحاور الرئيسية للسورة ، اما سياق الآية فيرتبط ارتباطا وثيقا بسياق الآيات ويعتبر احدى لبنات بناءه وتتحد مباني الآية حول مقطعها والمقطع بدوره يشكل العضو الاساسي في جسم السورة لان جميع مقاطع الآيات تسبح في فلك السورة الواحدة الذي يمثل موضوعها الذي سيقى المعاني والموضوعات لأجله الا ان كل هذه الانواع تتضافر فيما بينها لترتبط ارتباطا وثيقا بالسياق العام للقرآن الكريم^{١٩} بمعنى ان هناك في التفسير سياق آية وسياق الآيات والسورة وسياق القرآن الكريم ، فهذه دوائر متداخلة متكافلة حول ايضاح المعنى ، ومن هذا قسم السياق الى عدة انواع منها :

سياق الآية : وتوضيح ذلك كالألفاظ المشتركة بين معان عدة فأنا نعرف معناه من بين تلك المعاني من خلال فرض الآية وسياقها .

سياق الآيات : وهو غرض مقطع او مجموعة آيات متحدة المعنى

سياق السورة : بيان الهدف والغرض الاساسي والمحور الاساسي للسورة .

سياق السور : بيان غرض السورة بلحاظ سباقها ولحاقها من خلال السياق .

سياق القرآن : بيان الاغراض والمقاصد التي تدور عليها جميع معاني القرآن الكريم .

المطلب الاول : سياق الآية :

في هذا النوع من السياق يكون النظر في سياق الآية دون تجاوز ذلك الى ما سبقها او لحقها من آيات لتحديد واقتناص المعنى المراد لاحد المفردات من خلال معانيها المتعددة والمحتملة ، نرى العلامة الطباطبائي يبين انواع سياق الآية ويصرح بالسياق عند بيان الآية وفي بعض الاحيان لا يصرح وانما يفسرها بمعناها العام ، ونرى ان فكرة السياق لازمت العلامة الطباطبائي في تفسيره للآيات فكانت واضحة في تفسير الميزان ، ونذكر هنا بعض التطبيقات التي تكشف عن استخدامه الواسع للسياق .

١ . استعان المفسر بالسياق بالكشف عن معاني الآية وتجلي مقاصدها كما في قوله تعالى : " " وَلَمَّا

سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَأَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ" ^{٢٠}

عندما نرجع الى بيانات العلامة الطباطبائي نجد ان القرائن الموجودة في الآية تعكس نوع السياق

بشكل واضح من خلال المعنى العام للآية ، ففي هذه الآية يذكر او يصرح بنوع السياق بقوله

سياق الآية وبعدها يبين معنى الآية بالآية نفسها من غير الاستناد الى آية اخرى .

او كما في قوله تعالى : " " أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ

بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ" ^{٢١} ، في هذه الآية يعبر عن نوع السياق بقوله سياق الآية يفهم

ذلك من خلال قوله " سألوها" حيث يرجع سؤال قوم موسى الى الرسول في " تسألوا رسولكم "

في نفس الآية وبهذا اصبحت الآية ذات سياق واحد لانها لا تحتاج في معناها الى الآية التي قبلها

او بعدها او آيات آخر خارج السورة.

وكما في قوله تعالى : " قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ " ٢٢ ، في هذه الآية عندما نقوم ببيان معنى الآية بناء على محتواها الداخلي ، يذكر العلامة ان سياق الآية يعطي ان قوله " خلفه " بمعنى اسم المصدر والضمير يرجع "للشيء " فالمراد الوجود الخاص بالشيء والهداية ، وبهذا يكون سياق الآية سياق داخلي واحد .

نرى السيد الطباطبائي يركز في فهم المعاني للآيات القرآنية احيانا لا يصرح بنوع السياق بشكل مباشر بدلا من ذلك يعتمد على تحليل المعاني والدلالات مما يساعد القاريء على استنتاج نوع السياق كما في قوله تعالى : " وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاتِهِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَحِّزٍ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ " ٢٣ ، في هذه الآية السيد لم يصرح بنوع السياق وانما نفهم ذلك من خلال بيان معنى الآية ان الضمير " هو " يرجع الى القصة او انه يرجع الى ما يدل عليه قوله " يود احدهم " وقوله " ان يعمر " بيان لقوله " يود احدهم " ، نرى ان الآية تفسر نفسها من خلال نفس الآية من غير الرجوع الى آية اخرى ، وهذا يعتبر احد انواع السياق عنده .

وايضا في قوله تعالى : " يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ " ٢٤ ، نرى ان العلامة الطباطبائي لم يصرح بالسياق وانما يفهم ذلك من خلال بيان معنى الآية نفسها حيث ان الضمير " به " راجع الى " السبيل " نرى ان الآية تفسر نفسها من غير الاستناد الى سابقتها او لاحقتها ٢٥ .

وكذلك في قوله تعالى : " وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ " ٢٦ ، يبين السيد ان الظاهر من السياق ان قوله " اذا قضى الامر " بيان لقوله " يوم الحسرة " اشارة الى ان الحسرة تاتيهم من ناحية قضاء الامر ، نرى المفسر قد فسر الآية نفسها من دون الاستفادة من الآيات الاخرى ٢٧ .

كذلك في قوله تعالى : " وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ " ٢٨ ، من خلال المعنى العام للآية وكذلك من خلال قوله في الضمير في ذريته يرجع الى نوح ظاهرا لانه المرجع القريب لفظا او الضمير يعود الى ابراهيم ، وقد ذكر لوطا والياس (عليهم السلام) من الذرية ويقصد منهم هم الست المذكورين في هذه الآية ، ومن خلال ما تقدم تبين ان الآية توضح نفسها من غير اللجوء الى الآية التي قبلها او بعدها وهذا يعتبر احد انواع السياقات المعتمدة عند العلامة الطباطبائي ٢٩ ،

وفي قوله تعالى : " وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ " ٣٠ ، من خلال المعنى العام للآية وكذلك من خلال قوله ان الضمير في ذريته يرجع الى نوح ظاهرا لانه المرجع القريب لفظا ، او يعود الى ابراهيم (عليه السلام) وقد ذكر لوط والياس من الذرية ويقصد منهم هم الستة المذكورين في الآية ٣١ .

ومن خلال ما تقدم تبين ان الآية توضح نفسها من غير اللجوء الى الآية التي قبلها او بعدها ويعتبر سياق واحد .

وكذلك في قوله تعالى في سورة التوبة : " إِلَّا تَتُوبَ لَهُ فَفَدَّ نَفْسَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ

مفهوم السياق وانواعه في النص القرآني من منظور العلامة السيد الطباطبائي في تفسير الميزان

تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ^{٣٢} ، من خلال الرجوع الى المعنى العام للآية وضح لنا ان الضمير في " انزل الله سكينته " راجع الى النبي (ص) وذلك من خلال الادلة المبينه :

اولا : ان رجوع الضمائر التي قبل وبعده الى النبي محمد (ص) في قوله " لصاحبه" و " ايده" .
ثانيا : ان الكلام في الآية في سياق بيان نصر الله تعالى لنبيه الكريم (ص) حيث لم يكن معه احد .
ثالثا : ان الآية تجري في سياق واحد حيث ان الآية تتكلم عن نصره النبي محمد (ص) .
ومن ذلك تبين ان قوله " فانزل الله سكينته عليه" متفرع على قوله تعالى : " فقد نصره الله " والكلام في سياق نصره الله تعالى لنبيه^{٣٣}

وهذا النوع من السياق يعتبر مهما في تفسير القرآن الكريم لانه يساعد في فهم الايات بشكل دقيق وواضح ويمنع سوء الفهم او التفسير الخاطيء.

٢. وقد يستعين الطباطبائي بالسياق في تعيين معاني بعض الالفاظ الواردة في الآية ، فنجده يقول في بيان معنى الضعفاء في قوله تعالى : " لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمُرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ^{٣٤} ، نرى انه يبين معنى الكلمة ان المراد بالضعفاء بدلالة سياق الآية هم الذين لا قوة لهم على الجهاد ، وبهذا نرى ان للسياق اثرا كبيرا في الوقوف على معاني الآيات والكشف عن مرادها .

وكذلك في قوله تعالى : " رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ^{٣٥} ، بين السيد معنى الكلمة بالاستناد الى السياق بقوله ان المراد " بالرضى" ان الظاهر من سياق الآية هو الرضى الذي لا سخط بعده فانه حكم محمول على طبيعة اخيار الامة من سابقهم وتابعيهم في الايمان والعمل الصالح وهذا غي مقيد بزمان بعكس قوله تعالى " لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة " فانه رضى مقيد بزمان^{٣٦} .

ايضا في قوله تعالى : " قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ^{٣٧} ، يوضح العلامة الطباطبائي نوع السياق من خلال الالفاظ الواردة في الآية الدالة على نوع السياق كما في بيان معنى الانفاق من خلال سياق الآية هو الانفاق في وجوه البر وبيان هذا الانفاق لا يضيع عند الله بل يخلفه ويرزق بدله^{٣٨} . هذا ما صرح به العلامة في تفسيره من خلال السياق وهذا يعتبر ومن خلال الادلة والالفاظ انها احد انواع السياقات التي صرح بها .

لكن في بعض الاحيان نرى ان السيد الطباطبائي لم يصرح بنوع السياق ولكن يفهم من خلال معنى الآية والقرائن الملازمة للآية ، كما في قوله تعالى في بيان معنى السحت " سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ^{٣٩} بين العلامة معنى السحت من خلال مفردات الاصفهاني بقوله " قال الراغب في المفردات السحت هو القشر الذي يستأصل ، ومنه السحت للمحظور الذي يلزم صاحبه العار كأنه يسحت دينه ومروءته ، اما الطباطبائي قال ان السياق يدل على ان السحت في الآية هو الرشا^{٤٠} ،

وفي قوله تعالى في سورة التوبة : " لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ السُّفْهُةُ وَسَيَلَفُورًا بِاللَّهِ لَوْ اسْتَنْطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ^{٤١} ، وذلك من خلال قرينة السياق تبين ان معنى العرض هو ما يسرع اليه الزوال ويطلق على المال الدنيوي يدر عليهم منفعة دنيوية كغنيمة او مال يكتسب لاتباعوا الرسول (ص) ، فالآية تفضح انعدام الايمان الحقيقي عند المنافقين وتبرز ان طاعتهم مشروطة بتحصيل المنافع الدنيوية^{٤٢} ، وكذلك في قوله

تعالى في سورة الرعد : "أَيُّدًا كُنَّا تُرَابًا أَنِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ" ^{٤٣} في بيان معنى التراب ومن خلال قرينة السياق والمعنى العام للآية هو ما يصير اليه بدن الانسان بعد الموت من صورة التراب ^{٤٤} ومن هنا نرى ان العلامة لم يصرح بنوع السياق وانما ذكر كلمة السياق بمعناها العام ونفهم ذلك من خلال المعنى العام والقرائن الموجودة في الآية .

المطلب الثاني : سياق الآيات :

السور القرآنية تتضمن نصوصا من الآيات متحدة المعاني ومترابطة المباني لها اغراض محددة ، وهذه الاغراض متناسقة ومتناسبة تتلاحم فيبنى بعضها على بعض حتى تؤدي بمجموعها غرضا او اغراضا خاصة لمجموع السورة تسمى وحدة السورة او اغراضها او مقاصدها .

يبين الدكتور محمد عبدالله دراز في كتابه " النبا العظيم " : لماذا نقول ان هذه المعاني تنتسق في السورة كما تنتسق الحجرات في البيان ؟ لا بل انها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الانسان فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعي من انفسهما كما يلتقي العظام عند المفصل ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائح تحيط بهما عن كثر كما يشترك العضوان بالشرابين والعروق والاعصاب ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معين وتؤدي بمجموعها غرضا خاصا كما يأخذ الجسم قواما واحدا ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد مع اختلاف وظائفه العضوية ، واطهر ما يتبين اثر هذا النوع من السياق في القصص والتشريعات ^{٤٥} .

ومن هنا يستحسن بالآيات في تفسير بعضها للبعض الآخر باعتبارها قرائن منفصلة في فهم الكلام ، ينبغي الا يغفل سياق الآيات باعتباره احد القرائن الحالية في فهم ذلك الكلام وبالتالي ينبغي ان تستفاد معاني الآيات ضمن سياقها ولا شك احد بما لسياق الآيات من أثر كبير في الوقوف على معانيها والكشف عن مرادها كما لا ينبغي لمفسر ان يقتطع آية من القرآن ويفسرها بمعزل عن ظروفها المحيطة بها وعلاقتها بما قبلها وما بعدها من الآيات .ومن هذه الآيات :

١. في بيان ضوابط الجهاد في سبيل الله

كما في قوله تعالى في سورة البقرة : " وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ {١٩٠} وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ {١٩١} فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {١٩٢} وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ {١٩٣} الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَانقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ

الْمُتَّقِينَ {١٩٤} وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ" ^{٤٦} ، نلاحظ ان الآيات هنا منتظمة وذات سياق واحد كما بينها العلامة الطباطبائي بقوله ان سياق الآيات يدل على انها نازلة دفعة واحدة ومن هنا نفهم من خلاله ان هذه الآيات ذات سياق واحد وهي جزء من تشريعات الجهاد في الاسلام ، حيث نرى ان في الآية الاولى تدل على عدم الاعتداء وان الجهاد دفاعي موجه ضد من يبدأ بالعدوان والنهي عن تجاوز الحدود الشرعية كقتل المدنيين او تدمير الممتلكات بلا ضرورة ، وفي الآية الثانية في قوله تعالى " واقتلواهم حيث ثقتموهم" الاذن بالقتال في كل مكان يوجد فيه العدو ، وفي الآيات " فان انتهوا ... " ارشادهم الى وقف القتال اذا توقف العدو عن القتال " حتى لا تكون فتنة " الهدف منها هو تحقيق حرية الدين وازالة الظلم ، ونرى ان في الآية الاخيرة يبين لنا النفقة على الجهاد واعالة الاسر ^{٤٧} ، ومن هنا نرى ان هذه الآيات تشكل نسقا واحدا حول عدة محاور منها حق المسلمين في مواجهة العدوان ومنع الاعتداء والالتزام بالعدل وكذلك النفقة في سبيل الله وحماية المجتمع من التهلكة .

٢. الانفاق في سبيل الله :

قال تعالى في سورة البقرة : " مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةٌ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ {٢٦١} الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَتًّا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ {٢٦٢} قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ {٢٦٣} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَدَى كَالَّذِي يُفِيقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ {٢٦٤} وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَنْبِيئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ حَبَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ {٢٦٥} أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضِعْفَاءُ فَاصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ {٢٦٦} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ {٢٦٧} الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ {٢٦٨} يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ {٢٦٩} وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ {٢٧٠} إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ {٢٧١} لَيْسَ عَلَيْكُمْ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ {٢٧٢} لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ {٢٧٣} الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" ^{٤٨} ،

في هذه الآيات متصلة سياقيا ومنتظمة ذات موضوع واحد حيث تتناول موضوع الانفاق في سبيل الله وفضله مع بيان الفرق بين الانفاق الخالص لله تعالى وبين الانفاق رياء كما توحتها الآيات ، كما نرى ان الآيات تتكلم و تبرز مبدأ الاقتصاد الاسلامي القائم على العدل والتكافل ،

حيث يوضح لنا ان الآية الاولى تتكلم عن انفاق المؤمنين ويبين ان الانفاق ان يكون في سبيل الله وهو الانفاق الخالص لله تعالى ، اما الآية التالية تبين ثواب المنفقين باخلاص وكذلك تحذير من ابطال الصدقة بالمن والاذى نجد ان هذه الآية تشكل وسطا يربط بين بداية الآيات ونهايتها فبداية الآية قد اشترط الانفاق في سبيل الله والآية الثانية تقول ان الانفاق مشروط بعدم المن والاذى ، ان الآية الثانية رتبت ثوابا على الانفاق بلا من واذى من خلال الآية الاخيرة في قوله تعالى " الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون " ، اما الايات (٢٦٨-٢٧٤) تحذر من الشيطان وبيان جزاء المنفقين وثوابهم عند ربهم ، ومن خلال ما تقدم نوضح ان هذه الايات متصلة موضوعيا ذات سياق واحد كما صرح بها العلامة الطباطبائي وكذلك يفهم من القرائن الموجودة في الايات القرآنية وبالتالي فانها تشكل نسق واحد متكامل يدور حول ثلاث محاور و هي حث المؤمنين على الإنفاق في سبيل الله تعالى، فتضرب أولا مثلا لزيادته و نموه عند الله سبحانه: واحد بسبعمائة، وربما زاد على ذلك بإذن الله، وثانيا تنهى عن الرياء في الإنفاق و تضرب مثلا للإنفاق رياء لا لوجه الله، وأنه لا ينمو نماء و لا يثمر أثرا، و تنهى عن الإنفاق بالمن و الأذى إذ ييطان أثره و يحبطان عظيم أجره، ثم تذكر ما لهذا الإنفاق من عظيم الأجر عند الله، هذا ما يؤكد العلامة الطباطبائي في تفسيره^٩

٣. التشريع الالهي للميراث

وذلك من خلال توزيع الفرائض العادلة بينهم وتحذير من الاعتداء على حقوق الورثة .
قال تعالى في سورة النساء : " يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا { ١١ } وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كِلَاءَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمُ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ { ١٢ } تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ { ١٣ } وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ " ، هذه الآيات نزلت لمعالجة الظلم الاجتماعي الذي يمارس ضد النساء في العهد الجاهلي ، فجاءت التشريعات الالهية لتحقيق العدل والرحمة ولضمان حقوقهم ، حيث نرى ان هذه الآيات ذات سياق واحد وهو سياق يتعلق باحكام الوصية وتقسيم الارث ونرى العلامة الطباطبائي يصرح بذلك النوع من السياق بقوله سياق الآيات وكذلك يفهم من خلال القرائن الموجودة في النصوص القرآنية وهذه الآيات جاءت متتابعة مما يشير الى الترابط الموجود بينهما حيث نرى ان الآيات الاولى (١١-١٢) تنصب في بيان نصيب الذكور والاناث من الاولاد وكذلك نصيب الوالدين والزوجين في كل ذلك لتحقيق التوازن مع مراعاة العدل بين الجنسين ، وفي الآية (١٣) تشير الى هذه التشريعات هي تشريعات الهية وتوعد من التزم بها مصيره الى الجنة من خال قوله تعالى : "ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات ... " ، وفي الآية (١٤) تحذر من يعتدي على نصيب الورثة او يحرفها

مصيره النار اشارة الى ان التلاعب به هو عصيان الله تعالى ويبين ان الميراث هو نظام الهي يحقق المساواة المطلقة.^{٥١}

٤. التحذير من الكفر والشرك في قصة النبي ابراهيم (عليه السلام) :

هذه الآيات تحذر من الكفر والشرك وتؤكد على اهمية الايمان بالله والتوحيد وتأخذ قصة ابراهيم (عليه السلام) انموذجاً ، قال تعالى : " وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {٨٤} وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ {٨٥} وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ {٨٦} وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ {٨٧} ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {٨٨} أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هُؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيُؤْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ {٨٩} أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ " ^{٥٢} .

من خلال السياق المتبع في الآيات القرآنية التي تتحدث عن النبي ابراهيم (عليه السلام) نرى ان هذه الآيات متصلة سياقياً للآيات التي قبلها كما صرح بهذا العلامة الطباطبائي وكذلك ما فهم من خلال الأدلة الموجودة في النصوص القرآنية التي تتحدث عن ما جرى مع النبي ابراهيم وابيه أزر وكذلك بيان ان هذه الآيات هي بيان لمصدق القيام بدين الفطرة والانتهاض لنشر عقيدة التوحيد والتنزيه من شرك الوثنية ، وكذلك محاجتهم في نفي الشرك فقد كان يحاجهم عن افاضة الهية عليه بالعلم والحكمة ، والمجمل من تلك الآيات كلام يدل من خلال السياق انه عاش بمعزل عن الجو الذي عاش فيه ابوه أزر وقومه ، ونرى بعدها انه حاج الملك نمرود في دعواه الربوبية ، وفي هذه الآيات هي تنمة لقصة ابراهيم في الآيات السابقة وان اشتملت على بعض الانبياء ، فهي لبيان النعم التي انعمها الله على النبي ابراهيم ، ومن خلال السياق اضافة الى بيان التوحيد كذلك بيان ان عقيدة التوحيد محفوظة بهداية الهية وعناية ربانية ، ومن خلال ما تقدم نرى ان الآيات متصلة سياقياً وهذا يعتبر احد انواع السياق التي يعتمد عليها العلامة كثيراً في تفسيره ^{٥٣} .

٥. تحويل القبلة :

قال تعالى في سورة البقرة : " سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ {١٤٢} وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ {١٤٣} قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ {١٤٤} وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ {١٤٥} الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ {١٤٦} الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَكِّبِينَ {١٤٧} وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيَهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنْ

اللَّهِ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {١٤٨} وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ {١٤٩} وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمِمْ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ {١٥٠} كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ^{٥٤} . كما نوری من خلال بيانات السيد الطباطبائي وما يفهم من القرائن المتصلة ان هذه الآيات متصلة منتظمة سياقيا كما يفهم من الآيات القرآنية التي تتكلم عن تحويل القبلة وجعل الكعبة قبلة للمسلمين حيث نرى ان الآيات من (١٤٢-١٤٥) توجيهه تساؤلات لليهود وشارة الى ان بيت المقدس كان قبلة مؤقتة والكعبة هي القبلة الاصلية ، والآيات (١٤٦-١٥٠) للاشارة الى ان الله لا يضيع ايمان المؤمنين ، وبين ان تحويل القبلة انما هو نعمة انعمها الله على المسلمين كما ذكر في قوله تعالى : " ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون " ، بعد ان ذكر تحويل القبلة والحكمة من التحويل هو توحيد الامة تحت رمزية الكعبة وهي مركز التوحيد ، بين في الآية الاخيرة ان كل هذا تذكير فضل الله تعالى على المسلمين بارسال الرسول وتنزيل الكتاب . وتعتبر هذه الآيات جزء من الرد على اليهود وتربية المسلمين على التسليم لله تعالى^{٥٥} .

٦. بيان العدل الالهي والتحذير من الظلم

قال تعالى في سورة النساء : " وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا {١١٠} وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا {١١١} وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا^{٥٦} . هذه الآيات كما يفهم من النص القرآني والقرائن الموجودة انها ذات سياق واحد لكنه لم يصرح به وانما يفهم ذلك من خلال المعنى العام للآيات حيث بين ان الآية الاولى والآيتين التي بعدها كلام مسوق لغرض واحد وهو الاثم الذي يكسبه الانسان بعمله وان الآية الاولى تذكر بان الله تعالى يقبل توبة العبد ما دام كان صادقا في الاستغفار ، والآية الثانية تذكر ان الانسان مسؤول عن ذنبه فقط من غير ان يتخطاه ويلحق بغيره ، والآية الثالثة توضح ان الخطيئة لو رمى به بريئا غيره كان الرمي به اثما آخر ، ومن خلال ما تقدم يتضح ان الآيات مرتبطة مضمونا بالآيات التي بعدها المتعرضة للرمي بالخطيئة وعلى هذا ففوله " فانما يكسبه على نفسه" مسوق لقصر التعيين وفي الآية عظة لمن يكسب الاثم ثم يرمي به بريئا غيره^{٥٧} .

الخاتمة :

بعد الجهد المتواصل توصل هذا البحث المتواضع الى النتائج الآتية :

مفهوم السياق وانواعه في النص القرآني من منظور العلامة السيد الطباطبائي في تفسير الميزان

١. ان السياق القرآني يعتبر ركنا اساسيا في التفسير واحد القواعد التي يعتمد عليها المفسرين في فهم الآيات القرآنية .
٢. يعد الاعتماد على السياق من ابرز الطرق التي سلكها العلامة الطباطبائي في تفسيره .
٣. يقسم العلامة الطباطبائي السياق الى انواع عدة ومنها سياق الآية وسياق الآيات وغيرها .

الهوامش

- ١- النساء : ٨٢.
- ٢- الاوسي ، الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان ، ٣٧ ، اعتمادا على رسالة خطية بعثها اليه السيد الطباطبائي ذكر فيها جملة من الامور التي تتعلق بحياته.
- ٣- الامين ، اعيان الشيعة ، ٢٥٤ ، ايازي ، المفسرون حياتهم ومنهجهم ، ٧٠٤ .
- ٤- الرفاعي ، تطور الدرس الفلسفي ، ١٧٧ .
- ٥- الاوسي ، علي ، الطباطبائي ومنهجه ، ١١٥ .
- ٦- المصدر نفسه ، ١١٥-١٢١ .
- ٧- الاوسي ، علي ، الطباطبائي ومنهجه في تفسيره ، ١٢٧ .
- ٨- جولدزيهر ، المذاهب الاسلامية في التفسير ، ٣٠٤ .
- ٩- الزيدي ، كاصد ، منهج الطوسي في تفسير القرآن ، ٥٥ .
- ١٠- الجوهري ، الصحاح ، ٤ ، ١٤٩٩ .
- ١١- ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة . ٣ ، ١٧ .
- ١٢- ابن منظور ، لسان العرب ، ١٠ ، ١٦٦ .
- ١٣- الصدر ، محمد باقر ، دروس في علم الاصول ، الحلقة الاولى ، ١٣٠ . \ الاوسي ، علي ، الطباطبائي ومنهجه في تفسير الميزان ، ١٤٤ .
- ١٤- ابن دقيق العيد ، احكام الاحكام شرح عمدة الاحكام ، ١ ، ٢٧٨ .
- ١٥- حاشية العطار على جمع الجوامع ، ١ ، ٣٠ .
- ١٦- السيوطي ، الاتقان في علوم القرآن ، ٦ ، ٢٣١٦ .
- ١٧- الطلحي ، ردة الله ، دلالة السياق ، ٨٨ .
- ١٨- المثني ، عبد الفتاح محمود ، نظرية السياق القرآني دراسة تأصيلية دلالية نقدية ، ٧٧ .
- ١٩- الاعراف : ١٤٩ .
- ٢٠- البقرة : ١٠٨ .
- ٢١- طه : ٥٠ .
- ٢٢- البقرة : ٩٦ .
- ٢٣- البقرة : ٢١٧ .
- ٢٤- الطباطبائي ، محمد حسين ، الميزان ، ٢ ، ١٧٠ .
- ٢٥- مريم : ٣٩ .
- ٢٦- الطباطبائي ، محمد حسين ، الميزان ، ١٤ ، ٥٠ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ١- ابن فارس ، احمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر .
- ٢- ابن منظور ، محمد بن مكرم ، لسان العرب ، بيروت ، الناشر : دار صادر ، ط ٣ ، ١٤١٤ هـ ق .
- ٣- الامين ، محسن الامين ، اعيان الشيعة ، بيروت ، الناشر: دار التعارف للمطبوعات ، ط ١ ، ١٤٣٢ هـ .
- ٤- الاوسي ، علي ، الطباطبائي ومنهجه في تفسيره الميزان ، ايران ، الناشر : معاونية الرئاسة للعلاقات الدولية ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ .
- ٥- ايازي ، محمد علي ، المفسرون حياتهم ومنهجهم ، طهران ، الناشر: مؤسسة الطباعة والنشر ، ط ١ ، ١٣٨٦ .
- ٦- جولدزيهر ، المذاهب الاسلامية في التفسير ، تحقيق : الدكتور عبد الحليم النجار ، القاهرة ، ١٣٧٤ هـ .
- ٧- الجوهري ، ابو نصر اسماعيل بن حماد ، الصحاح ، تحقيق : احمد عبد الغفور العطار ، ط ٤ ، ١٤٠٧ هـ .
- ٨- دراز ، محمد عبد الله ، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن ، الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع ، السعودية ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ .
- ٩- الرفاعي ، عبد الجبار ، تطور الدرس الفلسفي في الحوزة العلمية ، الناشر : مؤسسة الاعراف للنشر ، ١٩٩٩ م .
- ١٠- الزيدي ، كاصد ياسر ، منهج الشيخ ابو جعفر الطوسي في تفسير القرآن الكريم ، ط ١ ، الناشر : بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠٠٤ م .

مفهوم السياق وانواعه في النص القرآني من منظور العلامة السيد الطباطبائي في تفسير الميزان

- ١١- السيوطي ، عبد الرحمن بن ابي بكر ، الاتقان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، طبع العامة المصرية للكتاب ، ١٩٧٥ .
- ١٢- الشافعي ، حسن بن محمد بن محمود ، حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ١٣- الصدر ، محمد باقر ، دروس في علم الاصول ،، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٨م .
- ١٤- الطباطبائي ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، بيروت ، الناشر : مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، ط ٢ ، ١٣٩٠ هـ . ق .
- ١٥- الطلحي ، ردة الله، دلالة السياق ، الناشر: معهد البحوث بجامعة ام القرى ، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤٢٤هـ .
- ١٦- العيد ، تقي الدين بن دقيق ، إحكام الاحكام في شرح عمدة الاحكام ، بيروت ، الناشر: دار عالم الكتب ، ط ١ ، ١٤١٨هـ .
- ١٧- المثني ، عبد الفتاح محمود ، نظرية السياق القرآني دراسة تأصيلية دلالية نقدية ، الناشر : دار النفائس للنشر والتوزيع ، الاردن ، ط ١ ، ٢٠٢٢م .

مفهوم السياق وأنواعه في النص القرآني من منظور العلامة السيد الطباطبائي في تفسير الميزان